٧

ـــ أين كنت ؟

ـــ هنا ، في البيت .

ـــ لماذا لم تفتح الباب منذ ستة أيام ؟

ـــ لاني لا استقبل الزوار أيام الحرب .

ـــ ولمـــاذا فتحت الآن ؟

ـــ لان السجن أفضل من البيت . ولاني الغيت كل مواعيدي . جاهز للاعتقال ... جاهز . خذوني !..

كانوا ضابطا ، وشاويشا ، وبوليسا .

حين كنت تهبط الدرج الى سيارة الشرطة ، وكنت تودع البيت وعيون الجـــيران خلف النوافذ ، لم تشعر أبدا أنك تودع الحرية . كنت تعتقد دائما ان سيارة الشرطة تأخذك الى حريتك الحقيقية . تحب تسمية الاشياء بأسمائها وهذا هو الاسم الحقيقي للسجن. في السجن لا تقول : انتهى كل شيء . في السجن تقول : ابتدأ كل شيء . والبدايـــة هـــي الحرية .

ابتـــدأ كل شيء ...

زملاؤك يندفعون اليك ، في السجن ، ليعتصروا منك خبرا آخر . كانوا منقطعين عن الاخبار الا ما يذيعه العدو . ولا يصدقون شيئا ، ويريدون منك خبرا واحدا . وليس عندك شيء . أيها الاصدقاء ! يؤسفني أن اقول ان ما بلغكم هو الحقيقة !.. يغضب بعضهم وتتهمك عيناه باليأس وينصرف عنك . والسجن جميل ، دائما تنتظر شيئا . وتشغل نفسك بمتطلبات صغيرة . وساعة في اليوم ، ترى السماء التي تعيد اليـــك صداقتك المهزوزة مع الحياة . ان قطعة واحدة من الزرقة تبهج قلبك ، ويوم تخـــرج ستلتهم الارض كلها . وفي السجن ، صرنا كلنا خبراء في المسألة العسكرية . ووجدنا سببا واحدا للهزيمة : الخيانة . ومن كان يجرؤ منا على الشك بهـــذا السبب كـــان يتهم بالانحراف .

ولكن ، كيف يبدأ كل شيء وفي أي اتجاه : اما أن يتعمق احساسك بأنك « مواطن عربي في اسرائيل » واما أن يتعمق رفضك لهذا الانتماء الذي لا خيار لك فيه . الحالة الاولى تكون رد فعل لخيبة الامل التي ألحقها بك العرب ، وتعزيـــزا لاستمرارك في العمـــل السياسي المتواضع الذي تمارسه ضمن دائرة الممكن وفي اطار القانون الاسرائيلي « كل شيء يبدأ من الداخل ، من المطالب الديمقراطية القائمة على الاعتراف بالامر الواقع » . والحالة الثانية تكون رد فعل للعنف الاسرائيلي وتأكيدا لاستمرارك بممارسة انتماءاتك الحقيقية كما تختارها أنت « كل شيء يبدأ من الخارج ، بدون هزيمة عسكرية تلحـــق باسرائيل ، لا يمكن أن تحدث تغيرات جوهرية داخل المجتمع الاسرائيلي » .

ثمة فارق بين الحالتين ، ولكن لا تناقض عميق فيما يترتب عنهما في مثل ظروفك الراهنة من ممارسات ما دمت موجودا في الداخل والخارج معا .

لقد هزم العامل الخارجي حقا ، ولكن انتماءك اليه لم يهزم . لان هـــذا الانتماء ليس وجهة نظر وليس رأيا قابلا للمناقشة . انه حقيقة تاريخيـــة . وتشعر بصدمة تناقض معنوي مباغتة. ان أقصى ما تستطيع ممارسته من كفاح ، ضمن دائرة الداخل ، يقتضي منك الانطواء تحت راية «الوطنية الاسرائيلية» التي تتناقض مع انتمائك القومي الذي هو